9me Année No. 397

Lundi - 10 - 2 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ محرم سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٠ فبراير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة		
١٤١	فلسفة الضحك	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٤٤	أخلاق القرآن	الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٤٦	الحديث ذو شجون	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٩	أومن بالانسان	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
١٥٥	الموسيقى والنساء والحروب	الأستاذ محمود البشبيشي ...
١٥٧	دير مديان	الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٥٩	الانتاج الأزهري	الأستاذ عبد العزيز محمد عيسى
١٦١	فتنة الزنج ورثاء البصرة في شعر ابن الرومي	الأستاذ محمود الغرقاوي ...
١٦٣	نهاية زعيم ... [قصيدة]	الأستاذ أحمد فتحي مرسي
١٦٤	خزائن الكتب في قصور الأندلسيين	« باحث » ... ...
	المجمع اللغوي والمعجم الوسيط	الأستاذ عبد العزيز البشري
١٦٥	خصومة أدبية	الأستاذ السباعي بيومي ...
	إلى الدكتور مبارك	الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٦٦	متحف وزارة المعارف ...	الأستاذ إبراهيم أدهم ... ...
	تصويب	الأديب عبد الساكت ...
١٦٧	البغض الأول ... [قصة]	الأستاذ عبد اللطيف النشار

فلسفة الضحك

للأستاذ عباس محمود العقاد

والذي ذكرني هذا الموضوع نفي الفيلسوف الفرنسي « برجسون » ، لأنه صاحب رأي من الآراء المعدودة في « فلسفة الضحك » ، ولأن الأشياء التي توضع في الذهن موضع التناقضات من دأبها أن يذكر بعضها ببعض ؛ فالبكاء من أزم الأشياء لفجيعة الموت ، والضحك يناقض البكاء على جميع الألسنة ، وإن لم يكونا في الواقع نقيضين أو طرفين متقابلين

فالحزن نقيض السرور ولكنه ليس بنقيض الضحك ؛ وقد يحزن الحيوان الأعجم ولكنه لا يضحك أبداً ولا يستطيع أن يضحك ، إذ الضحك خلة إنسانية ملازمة للعقل والضمير . ويقال : إن الإنسان حيوان ضاحك ، كما يقال : إن الإنسان حيوان ناطق : كلاهما وصف لا ينفصل عن التمييز الإنساني ولا يكون لغير الإنسان

وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن قهقهة القرد ليست من الضحك إلا في الصوت ، وأن الببغاء قد تحاكي الإنسان الضاحك كما تحاكي الإنسان المتكلم ، ولكنها جميعا أصداء وأصوات ليس لها من التمييز المنطق نصيب

ولا غرابة في أن يُعرَّف الإنسان بالضحك كما يعرَّف بالنطق

والتمييز ، لأن المنطق هو الذي يجعلنا نضحك ، وكل عمل مضحك فهو في حقيقته منطق ناقص أو قضية يختل فيها القياس والترتيب

ومن ثم يضحكنا الأطفال لأنهم لا يحسنون القياس ، ولكنهم يركبون القضايا المنطقية تركيباً فيه نقص واختلال

فالطفل الذي يرى أباه يحلق ذقنه فيصر على أن يحلق ذقنه مثله يقيس قياساً منطقياً لا يدري موضع النقص فيه

وكذلك الطفل الذي يصيح في أهله أن يردوا شعره إليه بعد حلقه ، إنما يقيس الشعر على الأشياء التي تؤخذ منه وترد إليه كلما شاء استردادها ، فيخطىء القياس

والكبار الذين يضحكوننا إنما يصنعون مثل هذا : يقيسون ويخطئون القياس ، ويكتفون بالمحاكاة ولا يتصرفون

ولو أننا نظرنا إلى كبار الممثلين المضحكين لوجدنا أنهم يتعمدون الخطأ على هذا المنوال ، ويتبعون أسلوباً في وضع الأمور في غير مواضعها يتنوع ويختلف على حسب أمزجتهم وملكاتهم ولكنه يلتقي في خلة واحدة وهي اختلال القياس

فلوريل وهاردي مثلاً قد أدخلا السجن في إحدى رواياتهما ثم استطاعا الإفلات منه ونعما بالسكر والنزهة وهما مفلتان ، فلما طاردهما الحراس في الطريق هربا إلى باب السجن يلتمسان الخلاص هناك : قياس منطقي لا شك فيه ، ولكن النقص فيه ظاهر للمتفرجين وإن لم يظهر للممثلين على حسب الدور الذي كانا يمثلانه

وشارلي شابلن قرأ فلسفة الضحك للفيلسوف برجسون قبل أن يمثل لنا الإنسان الآلي الذي يأكل بالعدد المتحركة في روايته (أنوار المدينة) ، وكذلك لاحظ هذه الفلسفة على ما نظن في الكلمات التي كان يعنيها بغير معنى ولا وحدة في بعض مواقف تلك الرواية ، لأن مذهب برجسون أن سبب الضحك هو تصرف الإنسان كما تتصرف الآلة ، بغير تمييز بين المتفقات والمختلفات ، وبين ما يقتضي التغيير وما ليس يقتضيه

وهذا مذهب مطابق لما أسلفناه من تعليل الضحك باختلال القياس أو الاطراد على نسق واحد لا يوجب الاطراد

رجل دخل السجن مرة فهرب وسكر وطرب فهو بحسب كل دخلة إلى السجن منتهية إلى هذه النتيجة ، ويمضي على هذا السنن كما تمضي الآلة التي تأتي بحركة واحدة ولا تقدر على تغييرها إذا تغيرت الدواعي والموجبات

فالضحك إنما هو سلاح الإنسانية للمحافظة على المرتبة التي وصلت إليها فوق الجماد وفوق الحيوان ، ومن هنا استحال على الحيوان أن يضحك لأنه لم يصل إلى هذه المرتبة وليس عنده من التمييز ما تستدعيه

ومذهب برجسون هذا هو جزء متمم لفلسفة كلها في حقيقة التطور وحقيقة المادة والفكرة ، فهي تركيبة شاملة يفسر بعضها بعضاً ويقوم الدليل من إحدى نواحيها على إثبات سائر النواحي . وله براعة في هذا التوفيق مع سهولة في التعبير لم يرزقها فيلسوف حديث بعد « شوبنهور » الذي انفرد بهذه المزية بين فلاسفة الألمان وسائر الفلاسفة في عصره

* * *

وللقارئ أن يراجع النكات أو المواقف التمثيلية التي أضحكته ليعرضها على هذا المذهب ، فهو واجد فيها لا محالة تصرفاً هو أشبه بحركة الآلة منه بتمييز الإنسان الناطق ، أو واجد فيها شيئاً من وضع الأمور في غير موضعها وقياسها على غير مقياس صحيح

ومن أمثلة ذلك تلك النكتة التي تروى عن ظريف من أبناء البلد يقول عن أحد الأطباء إنه يعلق مريضاً على باب المستوصف !

فذلك الطبيب على حسب هذه النكتة يرى أن أصحاب الدكاكين يعلقون على وجهاتها نماذج مما يعملون فيه ، وهو يعمل في المرضى ويستمد منهم تجارته ، فلماذا يا ترى لا يعلق مريضاً على باب دكانه ؟

وهذا هو التصرف الآلي كما يقول برجسون ، أو هذا هو القياس بغير المقياس الصحيح

ومن أمثلة ذلك « حانوتي » في إحدى الروايات الهزلية التي عرضت بمسارحنا المصرية يملأ جيوبه بالمناديل المطوقة بالسواد ليقدمها إلى الباكين من أهل الموتى على سبيل الإعلان « عن المحل » !

فالتصرف في هذا الموقف كتصرف الطبيب المزعوم ، والقياس هنا كالقياس هناك

ومن الواجب أن نفرق بين موضوع الضحك وبين شعورنا الذي نواجه به الإنسان المضحك ، فإنهما شيئان منفصلان كل الانفصال كانفصال حقيقة الجمال عن شعورك أنت بالإنسان الجميل

فنحن نعطف على الطفل الذى نضحك منه ، ونزدرى الرجل الكبير الذى يصنع مثل صنعه ، وننفر من الغرور المكابر الذى يبعث الضحك والسخرية ، ونألم للمريض الذى يخطئ كما يخطئ الأطفال وأشباه الأطفال ، وما من إحساس من هذه الأحاسيس داخل فى طبيعة الضحك وحقيقته الفلسفية ، بل هو عارض يلازم الضحك أو يفارقه ويكون عند هذا الإنسان على خلاف ما يكون عند غيره : فقد يؤلمنى ما يوجب الازدراء عند الآخرين ، وقد تنقبض لرؤية العدو فى موقف السخرية وتأسى لرؤية الصديق فى ذلك الموقف بعينه

* * *

إن نى برجسون لم يذكرنى فلسفة الضحك وحدها بل ذكرنى أموراً كثيرة منها ما يحزن ومنها ما يبعث الرجاء

ذكرنى نصيب الفلسفة بيننا نحن المصريين منذ عشرات الآلاف من السنين ، فلم يكن للفلسفة قط نصيب حسن بين المصريين أقدمين كانوا أو محدثين

لم ؟ لأن الدولة القوية تنشأ إلى جانبها الكهانة القوية ، ولأن الكهانة القوية قد استأثرت فى مصر القديمة بالبحث عن حقائق الكون وأسرار الحياة ، وأدخلتها فى عداد المراسم الدينية التى تفرضها على الأفكار ، ولا تسيغ فيها التجديد والابتكار

أما بعد انقضاء الدولة القديمة والكهانة القديمة فالاستعباد علة محققة من علل القضاء على الفلسفة فى هذه الأمة ، لأن الفلسفة هى المعرفة التى يطلبها العقل لذاتها أو يطلبها لذاته ؛ فهى من مطالب الأحرار وليست من مطالب المستعبدين الذين يريدون ما يرادون عليه ويحصرون همتهم فى المنفعة والجزاء

وقد ينبغ بين هؤلاء المستعبدين حكماء من معنى الحكمة التى هى اختبار واتعاظ وانتفاع بتجارب السابقين

أما الحكماء من معنى الحكمة التى هى نفاذ إلى كنه الحقائق ، فظهورهم وارتفاع شأنهم بين المستعبدين مستحيل أو كالمستحيل

هاتان علتان أرضاهما لتعليل كساد الفلسفة بين أبناء هذه الأمة فى الزمنين القديم والحديث ، ولا بد من مرانة طويلة على الحرية قبل أن يزول هذا الأثر من آثار الاستعباد

ولكن هل العلة التى أرضاها هى العلة التى تطابق جلة الأسباب ؟ وهل هى دون غيرها التى تطابقها ، أو هنالك علل أخرى يقول بها من ليس يرضيهم من أمر هذه الأمة ما ترضاه ؟

العلل التى تقال فى هذا الصدد كثيرة ، ومنها ضيق الواعية وانطباع الذهن على سهولة التفكير والتقيد بالمحسوسات والعمليات

ومنها قلة الجد والجلد وأخذ الحياة بالظواهر والوقوف بها عند السكك المطروقة والعادات المكررة التى تصد عن الإبداع وتغلق منافذ الاستغراب والتساؤل والاستطلاع

وكلتا العلتين تستند إلى الأخرى ، وكلتاهما لا نرضاها ولا نجزم بنفيها لأننا لا نرضاها !

* * *

قلنا إن نى برجسون ذكرنا أموراً تحزن وأموراً تبعث الرجاء . فهذا الذى يحزن وهو حزن هين فى عرف الكثيرين ؛

أما الذى يبعث الرجاء فهو تلك النبوءة التى أنبأ فيها الفيلسوف بهزيمة السلاح المادى أمام الآداب الإنسانية يوم أن نشبت الحرب الماضية وكان الناس فى شك من عقباها لما شاهدوه من بطش السلاح المادى خلال المعارك الأولى

فقد كان برجسون مؤمناً بغلبة الروح على القوة المادية ، وكان يبنى ذلك الإيمان على مثل السبب الذى اعتمده فى تعليل الضحك ، وهو أن التقدم الإنسانى مرهون بتقدم الروحيات على الآليات ، وأن الإنسان لم يخلق ضاحكا ليصبح آلة مغلوباً بقوة الآلة ، بل خلق ضاحكا ليسخر من الآلات ، ومن يردونه إلى حكم الآلات .

عباس محمود العقاد